الكتب

ضحى الاسلام

أو

أحمد أمين

— ٢ —

ضحى الاسلام كصاحبه شديد الوضوح ، سديد المنهج ، غزير البحر ، جم التواضع ، تقرأه فتتسابق معانيه الى فهمك ، وتتساوق أغراضه الى ذهنك ، فلا تشك فى أن مؤلفه قد استبطن دخائل موضوعه ، وأحاط بأصول بحثه وفروعه ، لأن المعنى اذا اتضح فى الذهن واتسق فى الشعور أسفر عنه البيان فى أشراق وسهولة وقوة ، وما يتعقد الأسلوب الا من غموض الفكرة أو طموس الصورة أو ضعف الملكة .

اسمع صاحب الضحى أو اقرأه تجده فى حاليه واضحا صريحا ثقة ، لأنه يتكلم عن روية ، ويشرح عن فهم ، ويكتب عن تفكير ، ويؤلف عن دراسة ، أما فترة الشك والتردد فنهايتها بداية عمله ،

موضوع الكتاب الحياة العقلية للمسلمين فى القرن الأول من العصر العباسى ، والعقلية الاسلامية يومئذ كانت أشد العقليات تركيبا ، وأكثرها تعقدا ، وأوفرها نتاجا ، لأنها مزيج عجيب من آثار شتى لجنسيات متعددة ، وحضارات متنوعة ، وثقافات مختلفة ، فتحليل هذا المزيج الى عناصره الأولية كما يفعل الكيميائى ، ورد هذه القوة الناتجة الى قواها البسيطة المحركة كما يفعل الميكانيكى ، أمر لم يضطلع به الى اليوم غير احمد أمين ، لأن الوسائل التى تهيأت له من مواهبه ومكاسبه وبيئته وعصره لم تتح مجموعة لأحد من قبله ، فلو أنه اجتمع لمؤرخينا السالفين مع سلامة الفطرة ، ونفاذ البصيرة ، وسعة الاطلاع ، الوقوف على علوم الاجتماع ، ومذاهب النقد ومناهج البحث » لما تركوا لنا التاريخ على هذه الحال المضنية من النقص والمبالغة والفوضى ، ولكن هذا التاريخ الذى قنع بأخبار الحرب والفتح ، والولاية والعزل ، والولادة والوفاة ، واغفل الكلام فى تبدل الأحوال والأطوار ، وتغير الميول والافكار ؛ وتطور العادات والمعتقدات ، فى طبقات الأمة ، هو نفسه الذى استخلص منه احمد أمين كتابيه فجر الاسلام وضحى الاسلام على هذا النهج الواضح والنسق المطرد ! فاعتبر فى نفسك أى عقل استجلى هذا الغموض ، وأى فكر أستغل هذا النقص ، واى صبر ساعد هذا الجهد !

سار المؤلف فى تحرير كتابه على خطة سديدة ، وتبويب متناسق . فجعله جزءين متساويين : بسط فى الاول العوامل التى أثرت فى العقلية الاسلامية وهو الذى ظهر ، وفصل فى الثانى الآثار التى نشأت عن هذه العقلية نفسها وهو الذى سيظهر . ثم كسر كلا من الجزءين على بابين : فالاول على الحياة الاجتماعية وعلى الثقافات الدينية والمدنية ، والثانى على الحركات العلمية ومعاهد العلم وحرية الفكر ، ثم على المذاهب الدينية وتاريخ حياتها وأشهر رجالها وأهم احداثها

فموضوع الجزء الذى فى يدينا الآن اذن هو العوامل المؤثرة فى الحياة العقلية الاسلامية فى شباب الدولة العباسية ، وهذه العوامل أما مادية نشأت من طبيعة الاجتماع كاختلاف الأجناس ، وصراع الطوائف ، ونظام الرقيق ، ومظاهر الترف من مجون ولهو ، ونتائج البؤس من يأس وزهد ، الى غير ذلك مما اسبوعيته فصول الباب الاول الستة وأما أدبية نشأت من تداخل الثقافات الفارسية ، والهندية واليونانية ، والعربية ، واليهودية ، والنصرانية ، وما يتبع ذلك من تمازج الآداب والمعتقدات والأنظمة ، وقد استقصى المؤلف أطرافها فى فصول الباب الثانى الستة .

وهذا الوضع المنطقى المحكم قد ضمن لآراء الكتاب

أن تطرد ، ولأجزائه أن ترتبط ، ولأبحاثه أن تتجمع ، فجاء من حيث التأليف مدمج الفصول ، مرسوم الوجهة ، محدود الغاية ، بريئا مما يجره عدم الخطة أو فسادها من استطراد مشت فى جهة ، وأخلال مرهق فى جهة أخرى ، وتلك مزية قل أن تجدها فى كتاب

صاحب ضحى الأسلام شديد اليقظة ، مستقل الرأى ، لا يعرض قولا دون مناقشة ، ولا بحثا دون تقدمة ، ولا رأيا دون دليل ، ولا تشعر وأنت تقرأه أن هناك رأياً معينا تسلط عليه ، أو فكرة سابقة أثرت فيه ، فهو يخطىء (جولدزهير) ، كما يخطىء ابن خلدون ، ويعرض الثقافات الدينية المختلفة بميزان واحد ولسان واحد

تبدو هذه اليقظة ، ويتجلى هذا الاستقلال ، منذ الكلمة الأولى فى الكتاب ؛ أذ يفطن إلى الخطأ الذى جره على بعض المؤرخين الكسل والتقليد فى تصويرهم سقوط الأمويين وقيام العباسيين حداً فاصلا بين حياتين مختلفتين للأمة الأسلامية ، تبتدىء الثانية عند انتهاء الأولى ، ثم يتجليان فى سائر الفصول وعلى الأخص فى الشعوبية والاسترقاق والزندقة ، فليس وراء ما كتبه فيها مراغ لمستزيد

وصاحب ضحى الأسلام أديب بارع ، وعالم ضليع ، يظهر أدبه فى الصور التى رسمها كصورة الرشيد ، والتراجم التى وضعها كترجمة ابن المقفع ، وتلك الصورة وهذه الترجمة نموذجان عاليان لكاتب التاريخ ومؤرخ الأدب . ويتحقق علمه فى كثرة المصادر التى رجع اليها ، ووفرة النتائج التى حصل عليها ، وعرضه للثقافات ، ولا سيما الهندية ، عرضا ينم عن اطلاع واسع واستقرا، دقيق وصبر نادر ،

وكل ذلك والتواضع الاصيل فى الطبع يأبى للمؤلف أن يصدق ما يقوله العلماء، والمستشرقون من أنه مثال الباحث الجامعى الحق ، وكتابه نموذج البحث العلمى الصحيح

الزيات

□□□□□□□□□□□□

الرسالة والاعلان

تستطيع الرسالة أن تؤدى للتجاره خدمة جليلة بالاعلان فيها . فان لها من سعة الانتشار فى الأوساط العليا والوسطى فى مصر والبلاد العربية ما يكفل لها التوفيق فى هذه الخدمة .

جولة فى ربوع أفريقية

لمحمد ثابت

بقلم الدكتور محمد عوض محمد

ليس من السهل أن نجد فى هذا القطر كله لمحمد ثابت ضريبا ولاشبيها فى حبه للرحلات البعيدة ، وفى التضحية بوقت نفيس وبمال أنفس ، فى سبيل ارضاء هذه الرغبة السامية ، التى تدفعه فى كل صيف إلى أطراف العالم ، لكى يرى بعينيه تلك الأقطار البعيدة التى طالما سمع عنها وتاقت نفسه لمشاهدتها . . وأى امرىء لايملكه الاعجاب الشديد حين يرى محمد ثابت ينفق من ماله القليل الذى ادخره بكثير من حرمان النفس ، ينفق عشرين جنيها كاملة من أجل رحلة بالسيارة من (كمبالا) على بحيرة فكتوريا الى (فورت پورتال) على سفح رونزورى — مسافة لاتزيد كثيرا على ما بين القاهرة والاسكندرية — لكى يمتع الطرف بالتأمل فى تلك الجبال الشامخة ساعات قلائل ، وقد اختفت قللها تحت غشاء كثيف من السحاب والضباب . ثم يعود أدراجه الى كمبالا لكى يستأنف سياحته الطويلة .

وفى المصريين كثير ممن ينزحون عن قطرنا صيفا . . . ولكن هؤلاء لهم شأن غير شأن صديقنا ثابت ، وقصة غير قصته . فهؤلاء قبلتهم إما فيشى أو كارلسباد يتداوون بمائها الشافى مما أنزلوه بأجسامهم من نتائج الافراط أو التفريط . أو قبلتهم باريس حيث يحيون حياتهم فى القاهرة ، يجلسون النهار كله وشطرا من الليل فى مقاهى مدينة النور — وهم لايرون من نورها شيئا — يقضون وقتهم قعودا كسالى يتحدثون وهم فى ميدان الأوبرا بذلك الصوت المصرى الجهورى فيسمعهم جميع من بالبوليفارد ، يعلنون عن أنفسهم ، وما فى أنفسهم شىء يستحق الاعلان ، ومنهم من هو شر من هذا . . وأى شر ! ولكن مالى أكدر نفسى بالكلام عن هؤلاء . وأنا أريد أن ينشرح صدرى بالكلام عن محمد ثابت ؟

منذ ثلاثة أعوام جال محمد ثابت فى ربوع أوربا ، فلم يزل ينتقل من قطر الى قطر حتى بلغ جزيرة أيسلنده وكان من الدائرة القطبية قاب قوسين أو أدنى . . . وفى الصيف التالى يمم شطر المشرق وجال فى بلاد الهند والصين واليابان ؛ وفى الصيف الماضى حملته السفينة باسم الله مجراها ومرساها الى شرق أفريقية وجنوبها . فاخترق خط الاستواء للمرة الأولى — إذ لا أظنه اجتازه فى